جدلية المكان الاجتماعية

أ.د. مضر خليل عمر

أسئلة للحوار العلمي

- لماذا يهتم الجغرافيون بالمدينة ودراسة بنيتها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية ؟
- ما هي المساهمات المميزة التي تجعل مشاركة الجغرافيين مهمة لفهم هذه الهياكل (البنية) واستيعابها ؟
- ما هي الطرق التي تعكس بها بنية المدينة التغيرات الاقتصادية والديمغرافية والثقافية والسياسية الحاصلة فيها ؟

- لماذا يتم غربلة سكان المدينة حسب العرق والطبقة الاجتماعية لتشكيل أحياء سكنية مميزة عن بعضها البعض ؟
- ما هي العمليات المسؤولة عن هذا الغربلة ؟
- هل هناك خصائص معينة أخرى التي تعزل الأفراد والأسر عن بعضها البعض داخل المدينة ؟

- كيف تؤثر طبيعة المنطقة السكنية على اختيار مكان إلاقامه ؟
- و على سلوك ساكنيها ؟
- كيف يختار الناس مكان العيش في المدينة ؟
- وما هي القيود المفروضة على خياراتهم ؟

- ماهي المجموعات القادرة على التلاعب ب "جغرافية المدينة "؟
- ولمصلحة من تفعل ذلك ؟
- تساءل الكثيرون عن حيادية الباحث في دراسته ، وعن انعكاس قيمه ضمنيا عند جمع البيانات وفي اختيار الأطر النظرية للبحث وفي الكلمات والاستعارات التي يستخدمها لتمثيل البيانات وعرض .

المنهج السلوكي

- ينصب التركيز فيه على دراسة أنشطة الأشخاص وعمليات صنع القرار (أين يعيشون ، على سبيل المثال) في عوالمهم المعاشة .
- العديد من المفاهيم التوضيحية مستمدة من علم النفس الاجتماعي مع التركيز على الطرق التي يختبر بها الناس العالم من حولهم .
- اهتم الجغرافيون منذ فترة طويلة بالعلاقات بين المناطق الحضرية المختلفة وبعض جوانب سلوك الناس ومواقفهم حيالها .

- لهذا النوع من النهج إطار من التفكير الحتمي ، حيث يعد فضاء المكان سببا ،
- وتبادل أثر العلاقات بين البيئات والسلوك ، فالحي السكني يأخذ طابعه من قيم وأنماط حياة سكانه ؛
- وبالمقابل فإن شخصية الحي السكني تعمل على تعزيز وتضييق استجابات ساكنيه .

- التركيز في معظم بحوث هذا المجال عن الطريقة التي تؤثر بها "شخصية" الحي الحضري على سلوك الفرد والجماعة ،
- وعلى وجه الخصوص ، الطريقة التي تسوقه الى السلوك المنحرف .

المنهج البنيوي

- يشكك البنيويين بالمظاهر اليومية وردود ألافعال الشخصية تجاه العالم وتفسيراتها الذاتية .
- لفهم المجتمع يحتاج المرء إلى التحقق من العالم الخارجي الواضح وما يحويه من باطن لفهم آليات العمل الأساسية .
- هذه الآليات لا يمكن ملاحظتها مباشرة ، بل يجب دراستها من خلال عمليات التفكير التجريدي ومن خلال بناء النظريات (الافتراضات) .

- تربط المنظورات الماركسية التطورات المجتمعية المعاصرة بالصراع الطبقي .
- و تشدد المقاربات البنيوية على القيود التي تُفرض على سلوك الأفراد من خلال تنظيم المجتمع ككل ،
- وأنشطة المجموعات والمؤسسات القوية داخلها .

- هناك العديد من الصراعات المختلفة في المجتمع بالإضافة إلى تلك القائمة بسبب الطبقة ،
  مثل تلك القائمة على اساس الجنس ، العرق ، العمر ، النشاط الجنسي ، الدين ، الإعاقة ، الانتماء السياسي ، موقع الحي ، وهلم جرا .

- وفي الجغرافيا فأن الأشخاص المختلفين لديهم مفاهيما مختلفة على نطاق واسع عن المناطق الجغرافية نفسها ((الصورة الذهنية للمكان نفسه)) .
- ويمكن أن تتغير رؤانا الخاصة لهذه المساحات بمرور الوقت .
- وهذا يعني أنه لا يمكن وجود جغرافية حضر اجتماعية واحدة .
- النقطة الأساسية هي أن هذه المناطق الجغرافية المبتكرة هي التي تشكل الهياكل المادية للمدن والطرق التي تتشكل بها هذه الهياكل بدورها .

- الاستعارة هي وسيلة لوصف شيء ما بالمعنى المجازي بالرجوع إلى شيء آخر غير مناسب حرفيًا
(مثل مصطلح الغابة الحضرية) .
- فالعديد من الاستعارات التي استخدمت لوصف وتحليل وفهم المدن لها نغمات سلبية ، تعكس المشاعر المعادية للتحضر التي تكمن وراء قدر كبير من التفكير الغربي حول المدن
(إذ تسمى "متاهة" و "كابوس" و "غابة").

- تصور المدن على أنها أماكن من الإثارة والتحرر والتنوير الفكري (حيث الترفيه أو "المسرح" أو "بوتقة انصهار) .
- يظهر هذا التعقيد في أوصاف مناطق الغيتو داخل المدينة التي تحتلها الأقليات العرقية ؛ من ناحية ، فغالبًا ما يتم تقديمها كمناطق متعفنة بسبب الجريمة ،
- ولكن من ناحية أخرى يتم تصويرها أيضًا كمساحات للنهوض الثقافي والحضاري .

- توفر المبادئ الأساسية للتفكير البنيوي أدواتا قوية لفهم التغيير الاجتماعي المعاصر .

مناهج ما بعد البنيوية

- لا توجد تجربة بسيطة غيرمنقوصة فكل تجاربنا يتم تنقيتها من خلال مجموعات معينة من القيم الثقافية .
- الطريقة التي نمثل بها الواقع لا تقل أهمية عن الواقع الأساسي نفسه .
- الكلمات ليست محايدة ولكن لديها افتراضات قوية ومعاني كامنة . وهذا يعني أن تحليل الثقافة \ الحضارة أمر أساسي لفهم لغة الخطاب .
- تأثير التفكير في مرحلة ما بعد البنيوية على جغرافية الحضر الاجتماعية كبيرًا ، لدرجة أن الانضباط الفرعي اتخذ "منعطفًا ثقافيًا" واضحا .

دراسة جغرافية الحضر اجتماعيا

- جوهري أن نلاحظ أن المدن ليست مجرد هياكل مادية بل هي أيضًا منتجات ذات صلة بهذه النقطة المهمة
- اذ لا يمكن عد الاستعارات والنظريات والمفاهيم وأساليب التمثيل التي نستخدمها لتحليل المدن محايدة وموضوعية و قيما مجانية .

- يمثل تقسيم الفضاء من خلال إنشاء حدودا إقليمية قانونية (رسمية) أيضًا ذات سمة مكانية مهمة له انعكاساته المباشرة على العديد من مجالات الحياة الحضرية .
- إن حدود مناطق تغذية المدارس بالطلبة لها آثارها المهمة على الوضع المجتمعي وأسعار الإسكان ،
- في حين أن تكوين الدوائر الانتخابية أمر حاسم في نتائج المسابقات السياسية الرسمية في المدينة .

جدلية المكان الاجتماعية

- يتم تشكيل الفضاءات الحضرية من قبل الناس ، فهي تستمد شخصيتها من الناس الذين يعيشون فيها .
- وفي الوقت الذي يعيش الناس ويعملون في المناطق الحضرية ، فانهم يفرضون تدريجياً أنفسهم على بيئتها ، ويقومون بتعديلها قدر الإمكان ، لتتناسب احتياجاتهم ولتعبر عن قيمهم وافكارهم .

- وفي الوقت الذي يستوعب الناس أنفسهم ويكيفوها تدريجياً في بيئتهم المادية (العمرانية) ومع الأشخاص المحيطين بهم ، هذه عملية مستمرة تعمل في الاتجاهين ، تعرف بجدلية المكان الاجتماعية ،
- حيث يقوم الناس بإنشاء وتعديل الفضاءات الحضرية المشروطة ،
- في الوقت نفسه ، بطرق مختلفة من خلال المساحات التي يعيشون فيها ويعملون .

- بهذه السياقات يتم تشكيل الأحياء السكنية ومجتمعاتها وصيانتها وتعديلها ؛
- وفي الوقت نفسه ،
- لا يمكن لقيم ومواقف وسلوك سكانها إلا أن تتأثر بمحيطهم هذا وبقيمهم ومواقف الناس المحيطين بهم وسلوكياتهم .
- تنشط عمليات التحضر الجارية سياقات التغيير التي تتكامل فيها القوى الاقتصادية والديموغرافية والاجتماعية والثقافية بشكل متواصل في المناطق الحضرية .

- ولا شك في أن المسافة مهمة كمحددات للشبكات الاجتماعية والصداقات والزواج .
(قانون تداعي اثر المسافة بالابتعاد عن مكان او نقطة معينة) ،
- وبالمثل ، تكون الإقليمية في كثير من الأحيان أساسًا لتكوين بيئة اجتماعية مميزة ،
- والتي تعد ، إلى جانب الاهتمام في حد ذاته ، مهمة نظرًا لقدرتها على تشكيل المواقف وسلوك سكانها .

- وتبرز المسافة أيضًا كمحدد كبير لنوعية الحياة في أجزاء مختلفة من المدينة بسبب الاختلافات في إمكانية الوصول إلى المجتمعات والمرافق مثل الوظائف والمتاجر والمدارس والعيادات والحدائق والمراكز الرياضية .
- فكبار السن ، مع إرث ملموس من وسائط سابقة للتنظيم الاقتصادي والاجتماعي ، جزءا لا يتجزأ من الهيكل المادي للمدينة .

- والفارق الرئيسي الاخر ينبع من الطريقة التي تطورت بها سياقات حكم الحضر .
- في حين تتكون المدينة في أمريكا الشمالية من عدد من البلديات المنفصلة والمستقلة تمامًا عن بعضها البعض ،
- فإن المدن الأوروبية أقل في ذلك حيث يتم تمويل خدماتها العامة و بمستوى كبير من قبل الحكومة المركزية ، مما يجعل تخصيص الموارد أكثر عدلاً داخل المدينة ككل .

- في حين أن أقل من 5 % من الأسر الحضرية الأمريكية تعيش في مساكن عامة ،
- يعيش أكثر من 20 % من الأسر في العديد من المدن البريطانية في ما يمكن تسميته "الإسكان الاجتماعي"
- (أي المساكن المستأجرة من السلطات العامة أو جمعيات الإسكان العاملة في المناطق غير السكنية) .

- يدين تشكل والبنية الاجتماعية للمدن الأوروبية بالكثير لقوانين التخطيط والفلسفات السياسية السائدة .
- فعلى سبيل المثال ، كانت لامركزية الوظائف والمنازل وانتشار محلات السوبر ماركت ومراكز التسوق خارج المدينة أقل وضوحا بكثير في أوروبا مما كان عليه الحال في أمريكا الشمالية ،
- وذلك بالأساس بسبب سياسة المخططين الأوروبيين لاحتواء المدن وحصر توسعها على حساب الاراضي الزراعية .
- النتيجة الطبيعية لذلك ، هي أن مناطق الاعمال المركزية CBDs في المدن الأوروبية تميل إلى الاحتفاظ بحيوية تجارية أكبر مقارنة بالعديد من نظيراتها في مدن أمريكا الشمالية .

تغيير جغرافي

- لقد أصبح وصف المدن مستحيلا .
- مراكزها لم تعد مركزية كما كانت عليه في السابق ،
- كانت حوافها غامضة غير واضحة المعالم
  (حضرية ام ريفية ام مزيج من الاثنين) ،
- ليس للمدن بدايات ولا نهاية على ما يبدو .
- لا الكلمات ولا الأرقام ولا الصور يمكنها فهم أشكال المدن المعقدة وبنيتها الاجتماعية بشكل كاف ، في الوقت الراهن .

- المرحلة الجديدة لها جذور في ديناميات الرأسمالية ، وعلى وجه الخصوص ، عولمة الاقتصاد الرأسمالي ، والهيمنة المتزايدة للشركات الكبرى ، والتحول المطرد داخل الاقتصاديات الأساسية في العالم بعيدا عن الصناعات التحويلية إلى أنشطة الخدمات .

* بما أن هذا التحول الاقتصادي الأساسي قد اكتسب زخماً ، لذا بدأت تحولات أخرى تتبلور في التكوين : ديموغرافيا وفي الحياة الثقافية والسياسية .

- جذبت العولمة الاقتصادية وتكنولوجيات الاتصالات الرقمية الجديدة المدن وأجزاء من المدن الكبرى إلى أدوار مختلفة وسريعة التغير ، في دوائر دائمة الاتساع والتعقيد : اقتصادية وتجارية .
- نظام إنتاج جديد لفورد حدد : ما ينتجونه ، وكيف ينتجونه ، ومكان إنتاجه .
- كان الاتجاه السائد هو التحول عن الصناعات الزراعية والصناعية نحو أنشطة الخدمات .
- وكانت هناك ، اختلافات كبيرة في ألاداء وفي التحديث اللامركزي للوظائف ذات المستويات العالية في مجال خدمة المنتجين .

- بدأ التطور غير المتكافئ لشبكات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في صياغة مظاهر حضرية جديدة للابتكار والتنمية الاقتصادية والتحول الثقافي ،
- وفي الوقت نفسه تكثيف التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية داخل المدن ، مما أدى إلى ما أطلق عليه الانشقاق العمران .
- أدت هذه التغييرات حتما إلى تغييرات كبيرة في الجغرافية الاجتماعية لكل مدينة ، مما يؤثر على كل شيء في الهيكل الطبقي والتنظيم المجتمعي وتقديم الخدمات الحضرية وهيكل السياسة الحضرية .

- وفي الوقت نفسه ، أنتجت إعادة الهيكلة الاقتصادية والانتقال إلى الفوردية الجديدة بعض التغييرات المهمة في تكوين أسواق العمل الحضرية ، وليس أقلها ***الميل نحو الاستقطاب الاقتصادي*** .
- ومن نتائجها الزيادة الحادة في البطالة في مدن المناطق الصناعية الأساسية في العالم .
- وكانت النتيجة المهمة هي أن التحول عن التصنيع قد أدى إلى انخفاض كبير في عمالة ذوي الياقات الزرقاء وزيادة متناسبة في العمل لذوي الياقات البيضاء .
- وعمالة ذوي الياقات البيضاء نفسها تنقسم على نحو متزايد بين الوظائف المهنية والإدارية من ناحية و وظائف كتابية روتينية من جهة أخرى .

- بدأت التطورات في التكنولوجيا والأتمتة في استقطاب فرص العمل بين تلك المخصصة للمهندسين والفنيين وتلك الخاصة بالعمال غير المهرة وشبه المهرة .
- وداخل قطاع الخدمات ، تجارة التجزئة والمستهلك أصبحت الخدمات مهيمنة على **وظائف بدوام جزئي ووظائف "ثانوية"** (وظائف في الشركات الصغيرة أو في المتاجر الصغيرة أو مكاتب الشركات الكبيرة) ، حيث ***القليل من المهارة مطلوب لانجاز أنواعا معينة من الخدمات*** .

- كانت خدمات المنتجين (أي خدمات الأعمال) وخدمات القطاع العام والخدمات غير الهادفة للربح (التعليم العالي بشكل أساسي وبعض جوانب الرعاية الصحية) هي التي ساهمت أكثر من غيرها في التوسع في العمالة في قطاع الخدمات .
- فهذه التحولات الاقتصادية أثرت في الجغرافية الاجتماعية للمدن المعاصرة بطرق متنوعة حيث تمت إعادة هيكلة أسواق العمل .

- كان هناك اتجاهين رئيسيين :
- الأول نحو احتكار القلة حيث أن الشركات الأكبر والأكثر كفاءة قد طردت منافسيها وسعت إلى تنويع أنشطتها .
- والثاني هو التحول عن الإنتاج الضخم إلى أنظمة الإنتاج المرنة للأسواق المتخصصة .
- كان لهذا الاتجاه أهمية أكبر بالنسبة لجغرافية الحضر الاجتماعية ، لأن مرونة النشاط الاقتصادي قد طبعت نفسها على التنظيم الاجتماعي والحياة الاجتماعية في المدن ، مما خلق انقسامات جديدة وكذلك استغلال القديمة منها ايضا .

- ومع تطور التكتلات الكبيرة الجديدة ، التي قامت بترشيد عملياتها بطرق عدة ، مما أدى إلى القضاء على ازدواجية الأنشطة بين المناطق وبين البلدان ، ونقل عمليات الإنتاج والتجميع الروتينية إلى المناطق ذات تكاليف منخفضة لليد العاملة ، ونقل عمليات "المكتب الخلفى" إلى الضواحى مع تخفيض الإيجارات والضرائب ، وتوحيد وظائف المكتب الرئيسي ومختبرات البحث والتطوير في الإعدادات الرئيسية .

- إن إحدى النتائج الرئيسية لهذه التغييرات ، من وجهة نظر جغرافية الحضر الاجتماعية ، هي أن نسبا متزايدة من كل من أسر الطبقة العاملة والطبقة المتوسطة تجد صعوبة متزايدة في تحقيق ما أصبحت تعده مستوى مقبولا من المعيشة بالاعتماد على مورد واحد فقط . فكان أحد الردود على ذلك هو توسيع نطاق الأسرة ذات العائدين ؛ وكان آخر نمو وتطور الاقتصاد غير الرسمي ،
- والذي بدوره بدأ في خلق أنواعا جديدة من تنظيم الأسرة ، تقسيمات جديدة من الفضاءات المحلية والحضرية ، وأشكالا جديدة من العلاقات المجتمعية .

- وهكذا نرى جنبًا إلى جنب نمو خدمات الشركات المتقدمة وتطوير المصانع المستغلة للعمال يديرها عمال لا يحملون تأهيلا ؛
- وظهور مجموعات غنية من المديرين الفنيين وتهميش الفئات المحرومة حديثًا . ونتيجة لذلك ،
- فإن الجغرافية الاجتماعية للمدن الكبرى اصبحت معقدة جدا .
- إنها تخلق مجالات اجتماعية جديدة متميزة ، وهي تمتلك الرابط لهذه المجالات داخل الوحدة الوظيفية نفسها .

- كان ظهور النزعة الاستهلاكية والقيم المادية أحد الاتجاهات الثقافية السائدة منذ عام 1980 .
- أن تتحول عن عالم الإنتاج المنظم بشكل متزايد إلى عالم الاستهلاك الذي يسهل استغلاله
- من وجهة نظر جغرافية الحضر الاجتماعية ، كان الطلب على ملكية المنزل و التركيز على ملحقاته كتعبير عن الذات والهوية الاجتماعية .

- وعلى خلفية هذا الاتجاه العام نحو النزعة الاستهلاكية ، ظهرت في الستينيات ثقافة شبابية متميزة من الطبقة الوسطى تستند إلى رد فعل ضد المادية والحجم والتكنولوجيا العالية.
- يمكن رؤية هذه الأفكار ، على سبيل المثال ، في تسييس القيم الليبرالية / الإيكولوجية فيما يتعلق بالتنمية الحضرية والاستهلاك الجمعى ،
- وفي عالم ما بعد الحداثة ، والهندسة المعمارية الحديثة والحضرية فى التصميم العمرانى .
- ومع ذلك ، تجدر الإشارة إلى أن انتشار هذه القيم لم يؤد ، في معظمه ، إلى النزوح عن المادية . بدلا من ذلك ، لقد كبروا جنبا إلى جنب .